التكرار والنمو

كأحد أساليب البناء القرآني للإنسان

إعداد الدكتورة

إيناس جلال محمود القصاص

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

جامعة الأزهر بالقاهرة

التكرار والنمو كأحد أساليب البناء القرآني للإنسان

إيناس جلال محمود القصاص

مدرس بكلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر بالقاهرة.

البريد الجامعي: Enaselasas.2057@azhar.edu.eg

الملخص:

في هذا البحث محاولة لبيان كيف أحدث القرآن الكريم هذا التحول الهائل في الإنسان والمجتمع. كيف غيَّر الله به مَن أُنزل عليهم أول مرة من قوم أهل جاهلية إلى خير أمة أخرجت للناس. واتخذت من التكرار والنمو في القرآن الكريم مدخلًا اقتربت من خلاله لبيان البناء القرآني للإنسان؛ وضمنًا بينت كيف لا يُحدث القرآن ذات التأثير في هذه الأيام مع أنه يُقرأ آناء الليل وأطراف النهار. واتبعت المنهج الاستقرائي الاستنباطي المقارن. وتوصلتُ إلى عدد من النتائج من أهمها: أن التكرار من أهم الأدوات المعرفية في بناء الإنسان، وربما كان هذا السبب في كونه مكونًا أساسيًا من مكونات القرآن الكريم وليس، فقط، أحد الظواهر البلاغة فيه. وأن امتلاء القلوب بزخرف القول مما توحيه شياطين الإنس والجن لمن أصغى إليهم وتأثر بقولهم، هو العامل الأساسي في عدم تأثر كثير من المعاصرين بالقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية:

القرآن الكريم، بناء الإنسان، التكرار، التدرج، النمو، صبغة الله، البيئة، المجتمع.

Repetition and Growth as one of the Approaches of the Qur'anic Building up of Man

By: Enas Galal Mahmoud Al- Kassas
An Assistant Professor
Faculty of Islamic and Arabic Studies
Azhar University

Abstract

This research constitutes an endeavor to show how the Holy Qur'an has caused such massive change in man and society. It is also keen to show how Almighty Allah Has changed the people to whom the Holy Qur'an was first revealed from being people of ignorance into being the best nation for mankind. Repetition and growth have been utilized by the researcher as an introduction to clarify the Qur'anic building up of man. Implicitly, the research has shown why the Holy Qur'an ceased to cause such effect these days although it is being recited around the clock. Hence, the research applies the comparative inductive and deductive approaches. By the end of the research, the researcher has referred to the findings. One of the most important findings is that repetition is one of the most important cognitive tools utilized for the building up of man. Probably, this may be the reason why it constitutes a basic constituent of the Holy Qur'an and not just a rhetorical phenomenon. Moreover, filling hearts up with eloquent sayings told by evil humans and demons to those who listen to them and get influenced by their speech incarnates the main factor keeping a lot of the contemporaries away from being influenced by the Holy Qur'an.

Key words: The Holy Qur'an, building up of man, repetition, gradation, growth, dye of God, environment, society.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

في العقود الأخيرة ظهر سياق معرفي عُني بالحديث عن سلوك الأشخاص، ذكورًا وإناثًا، بهدف إعادة تشكيله والتحكم فيه. فانتشر الحديث عن "التنمية البشرية"، و "البرمجة العصبية" و "صناعة العادات"؛ وأن العقل البشري مصنوع كالآلة، أو يكاد، حتى تجرأ أحد علماء الاجتماع واعتبر أن الحديث عن وجود عقل يفكر ويقرر عند الإنسان مهزلةً، وكتب كتابًا بهذا العنوان "مهزلة العقل البشري"!!

وقد نجح أصحاب هذا النهج، إلى حد بعيد، في تشكيل سلوك الإنسان المعاصر، ولكن في سياقٍ ضره أقرب من نفعه. وذلك أن الإنسان المعاصر، صنيعة هؤلاء، قد غرق في أنماط عديدة من الاستهلاك واللهو واللعب، وتم تفريغه من كثير من القيم النافعة. وأصبح الحال على ما وصف الله ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾(١). ومن أوضح الأمثلة على ذلك تفسخ الأسر وهي على أعتاب الحياة الزوجية، وانتشار الجريمة في المجتمع، وانتشار الفقر مع كثرة المال، وانتشار الأمراض المزمنة مع تطور تقنية الدواء، وتلوث البيئة، فلا تكاد تتأمل مجالًا إلا وتجد فسادًا سببه الرئيس هذه المناهج (المنظومات الفكرية) التي شيّدت الإنسان المعاصر. وإن كثيرًا من الضر جاء من حيث يرجى النفع. أرادوا تنمية بشرية فكان هذا الحال من التردي الخلقي والضعف الوظيفي (عدم القدرة على إيجاد تخصصية عالية تثمر أثرًا بناءً في المجتمع).

وإن هذا النشاط المحموم من أجل صناعة الفرد المعاصر والتحكم في سلوكه مع انتشار الفساد، يدفعنا للبحث في الوحي (كتابًا وسنة) عن الطريقة التي تم بها هذا التحول الهائل لمن تلقوا الوحي من رسول الله ﷺ. من قومٍ أهل جاهلية يعبدون الأصنام، ويأكلون الميتة، ويأتون الفواحش، ويقطعون الأرحام، ويسيئون الجوار، ويأكل القوي منهم الضعيف، إلى خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله. والسؤال: كيف أحدث القرآنُ الكريمُ هذا التحول الكبير في الإنسان

(١) سورة الروم: من الآية ٤١.

والمجتمع؟ وضـمنًا كيف لا يُحدث القرآن ذات التأثير في هذه الأيام مع أنه يُقرأ آناء الليل وأطراف النهار؟

وأحاول في هذا البحث تقديم إجابة على هذا السؤال من خلال استقراء ما دونه علماء التفسير وعلوم القرآن فيما يتعلق بمسارين فقط من مسارات بناء الإنسان في القرآن الكريم، وهو التكرار والنمو (التدرج)، وذلك في سياق نقدي لما يحدث اليوم من بناء على مناهج غربية. والله أسأل رشدًا، وتوفيقًا، وقبولًا، وبركةً، إنه كريم منان.

أهمية البحث:

تكمن الأهمية العلمية لهذا البحث في أمور من أهمها:

١) المشاركة في بيان أن القرآن الكريم يهدي إلى الرشد، وأنه روحٌ من الله الحي القيوم المحي، سبحانه وعز وجل، تُغيِّر حال من آمن به واتبع هداه من الشقاء والفساد إلى النعيم والصلاح في الدنيا والآخرة.

٢) الكشف عن بعض المحاور الرئيسية التي من خلالها تغيّر الإنسان الجاهلي إلى أفضل نموذج بشري عرفه التاريخ في قليلٍ من الزمن، تحديدًا التكرار والنمو.

٣) المشاركة في كشف فساد المناهج التي لا تنطلق من الوحي كتابًا وسنة، وكيف أنها لا تثمر نافعًا يمكث في الأرض كما أشار القرآن الكريم، وأقصى ما يرجى منها نفع عابر يزول سريعًا ولا يبقى.

٤) الكشف عن الغاية التي تتحرك لها المناهج الغربية الحديثة، سواءً في مستوى الإنسان العادي وذلك من خلال بناء فرد يتمحور حول متطلبات الجسد من طعام وشراب ومسكن ونكاح، أم في مستوى الفرد النخبوي (الملأ/ الذين استكبروا) وذلك من خلاء بناء فرد يتمحور حول السيطرة والنفوذ على غيره من البشر.

٥) بيان أننا في واقع متغير باستمرار، وإذا لم يشارك أهل القرآن في صناعة الواقع فإن المناهج البديلة (المضادة، أو المنافسة) ستشارك حتمًا في بناء الإنسان والمجتمع.

أهداف البحث:

١) المشاركة في تعميق أحد موضوعات القرآن الكريم الكبرى. تلك التي تعنى بهداية الناس وترشيد سعيهم في الحياة الدنيا، وهي هنا "بناء الإنسان" من خلال التكرار ومراعاة سنة "التدرج/ النمو".

٢) التأكيد على أن القرآن الكريم يُصلح الله به كل زمان ومكان إن آمن الناس واتبعوا.

٣) بيان أن الفرد والمجتمع في حالة تحول وتغير مستمر تبعًا للمناهج السائدة. ولا يوجد سكون، أو مساحة خالية فإن تخلى الحق حضر الباطل.

٤) المشاركة في تقديم مادة علمية لمن يسعى لهداية الناس بالقرآن الكريم. وعظًا يعظ به غيره، أو علمًا ينتفع به هو في ذات نفسه.

٥) مجاهدة المفسدين الضالين بالقرآن الكريم كما أمر الله ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[1]، رجاء أن يكتبني الله من أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته.

أسباب اختيار الموضوع:

١) ما سبق بيانه من الأهمية والأهداف.

٢) ما يعاني منه الفرد والمجتمع من الحيرة، والأرق، وتفكك الأسر وخاصة الأسر حديثة النشوء، وانتشار الأمراض، والفقر، والجريمة، وذلك بعد تمكن المناهج الغربية من المشاركة بنسبة كبيرة في بناء الإنسان المعاصر.

٣) أسباب علمية تستهدف التأكيد على أن تزكية النفس، وبالتالي صلاح الفرد والمجتمع، سبيله الإيمان بالله وتعميق العبد صلته بربه بتلاوة كتابه، وتأدية الفرائض والإكثار من النوافل، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[2]

(١) سورة الفرقان: من الآية٥٢.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٦٤.

٤) أسباب دفاعية تستهدف كشف المناهج البديلة (أو المنافسة) التي لم تقم على الإيمان بالله وما أنزل على رسوله ﷺ، وخاصة بعد أن ظهر عدم جدوى هذه المناهج في تغيير حال الناس للأفضل.

٥) تكملة بحثين سابقين نشرتهما في مجلات الأزهر الشريف، يظهر أحدهما تغير مجتمع مكة والمدينة بعد نزول القرآن[١]، ويجيب الثاني على سؤال مفاده: كيف تعمر الأرض بالصالحين؟[٢]، ويأتي هذا البحث كخطوة يفترض أن تسبق الخطوتين السابقتين وذلك ببيان كيف شيد القرآن هذا الإنسان الصالح المصلح؟

منهجية البحث:

اتبعتُ المنهج الاستقرائي الاستنباطي المقارن، وذلك بقراءة ما دونه علماء التفسير وعلوم القرآن فيما يتعلق بالتكرار في القرآن الكريم، وما يتعلق بالتدرج في الأحكام ومراعاة النمو في بناء الشخصية المؤمنة. وكذلك عدد من الكتب والمحاضرات والحوارات التي عُنيت بالحديث عن بناء الشخصية المعاصرة من خلال منتوجات المناهج الغربية، فيما يسمى بـ "التنمية البشرية"، وكذلك عدد من الكتب والمحاضرات والحوارات التي عُنيت بنقد تلك المناهج الحديثة. ثم قمت بجمع ما تحصلت عليه من مادة علمية وتصنيفها حسب الموضوعات الفرعية التي تُبين الفكرة الرئيسية للبحث، والتي هي بيان هذين العاملين (التكرار والنمو) في بناء الشخصية المسلمة، في سياق مقارن مع المناهج الغربية التي أنتجت الإنسان المعاصر (الحداثي).

(١) ينظر: "مجتمع مكة والمدينة قبل القرآن وبعده" لإيناس جلال القصاص، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية، والمنعقد بتاريخ١٣-١٤ شعبان ١٤٤٤ه، الموافق ٥-٦ مارس٢٠٢٣م، بعنوان: "النتاج العلمي التراثي والمعاصر في مرايا الباحثين".

(٢) ينظر: "عمارة الأرض في القرآن الكريم بين منهجين" لإيناس جلال القصاص، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد السابع، الإصدار الأول، الجزء الأول ١٤٤٤ه-٢٠٢٢م، ص١٣٥-١٩٦.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

وفي المقدمة بيان للسياق الذي تولدت منه فكرة البحث وسؤاله الرئيسي الذي أحاول الإجابة عنه، وأهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختيار الموضوع. والمبحثان هما:

المبحث الأول: بناء الإنسان بين منهجين.

المبحث الثاني: التكرار والنمو كأحد أساليب القرآن الكريم في بناء الفرد الصالح والمجتمع الصالح.

ثم الخاتمة وفيها تلخيص للبحث ورصد لأهم نتائجه.

المبحث الأول

بناء الإنسان بين منهجين

تُعدُّ المقارنة من أهم الأساليب المستخدمة في عرض القضايا في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾[4]. وانطلاقًا من هذا النهج القرآني أحاول عرض نموذج البناء القرآني للإنسان في سياق مقارن مع النماذج الموجودة حاليًا، وذلك من خلال إلقاء الضوء على ثلاث نقاط رئيسية، **أولها**: مرجعية كل نموذج، **وثانيها**: نظرة كل نموذج للإنسان، **وثالثها**: علاقة الإنسان بالأشياء من حوله في كل نموذج، وذلك على النحو التالي.

أولاً: المرجعية:

لكل منظومة عقدية رؤيةٌ في بناء الإنسان، بمعنى رؤية في تشكيل ميوله واتجاهاته، أو: تشكيل القناعات والدوافع (العقائد)؛ ولكل منظومة رؤيةٌ في تشكيل الاهتمامات الخارجية؛ والمهارات التي يتجه إليها بحثًا عن أسباب قوته أو بحثًا عن ذاته؛ وكذلك لكل منظومة رؤية تتحكم في طبيعة العلاقات التي يتحرك بينها الفرد في حياته، وذلك أن كلًا منا يصاحب من يتوافق معه أو من له مصلحة عنده؛ وكذلك تُقدم كلُّ منظومة قدوات خاصة لمن يؤمنون بها. ولذا لابد ابتداءً من الوقوف عند المرجعية التي يُستقى منها في بناء الإنسان. ونستطيع أن نقول أننا أمام مرجعيتين: الأولى هي: مرجعية الوحي (القرآن

(١) سورة الأعراف (٧): من الآية ٣٠.

(٢) سورة الزمر (٣٩): من الآية ٩.

(٣) سورة فاطر (٣٥): الآيات: ١٩-٢٢.

(٤) سورة فصلت (٤١): من الآية ٤٠.

الكريم كتابًا وسنة)، والثانية: مرجعية الإنسان. ويهمنا بيان هذا التقابل بين المرجعيتين ليُعلم الفرق الهائل بين أثر كل مرجعية في بناء الإنسان.

تتصف مرجعية القرآن الكريم بالوضوح الشديد والاستقامة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾[١] "والأقوم: تفضيل القويم. والمعنى: أنه يهدي للتي هي أقوم من هدى كتاب بني إسرائيل الذي في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٢]. ففيه إيماء إلى ضمان سلامة أمة القرآن من الحيدة عن الطريق الأقوم، لأن القرآن جاء بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائل، ولا يغادر مسلكًا إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضا أو تحذيرا، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه"[٣]. ولفظة "القرآن" تدل على الجمع، جمع الكلمات لتكون آيات فسور فالكتاب كاملًا (المصحف) وفي القرآن الكريم جمعت علوم الأولين والأخرين[٤].

وفي المقابل نجد أن مرجعية البشر تشتت وتيه، ويَرِدُ هذا المعنى كثيرًا في كتاب الله بطرق متعددة، منها بيان أن الحق (النور) واحد وأن الباطل (الظلمات) كثير متشعب كقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[٥]، ، وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٦] ، وقوله

(١) سورة الإسراء (١٧): آية ٩.

(٢) سورة الإسراء (١٧): من الآية ٢.

(٣) ينظر: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" للشيخ محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ج١٥، ص٤٠.

(٤) ينظر: "مفاتيح الغيب" للإمام محمد بن عمر بن الحسن الرازي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ)، ج٢، ص٢٦٠.

(٥) سورة البقرة (٢): من الآية ١٧.

(٦) سورة البقرة (٢): من الآية ٢٥٧.

تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾[١] ، وقوله تعالى: ﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[٢] ، ومنها بيان أن صراط الله المستقيم واحد وأن السبل كثيرة ومتشعبة ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[٣]. "أفرد النور وجمع الظلمات؛ لأن طرق الضلالة متعددة، وطريق الحق واحد" "وطرق الحق إن تعددت[٤] فهي موصلة لشيء واحد، وطرق الضلال إذا تعددت توصل إلى ضلالات متعددة"[٥]

ومنها بيان حالة الحيرة والشتات التي تصيب من تم بناؤه على غير المنهج القرآني، فغفل عن القرآن واتبع هواه، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾[٦] ، ومعنى ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في شهواته وأفعاله، وفيما يسأله، ويطلب التمييز به عن غيره، ﴿وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ ضيقًا، متروكًا، ندمًا، سرفًا وإفراطًا، سريعًا[٧]، ومثله قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۖ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾[٨] ،

---

(١) سورة الأنعام (٦): من الآية١.

(٢) سورة المائدة (٥): من الآية ١٦.

(٣) سورة الأنعام (٦): الآية ١٥٣.

(٤) مثل قوله تعالى﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ سورة المائدة (٥): ١٦.

(٥) ينظر: "تفسير ابن عرفة" للإمام محمد بن محمد ابن عرفة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م)، ج٢، ص١٠٣.

(٦) سورة الكهف(١٨): الآية ٢٨.

(٧) ينظر: "النكت والعيون" للإمام علي بن محمد الماوردي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ج٣، ص٣٠٢.

(٨) سورة الأنعام(٦): الآية ٧١.

فهذا حال من ضل الطريق إلى الله ﴿حَيۡرَانَ﴾ لا يدري أين يذهب[١] استهوته الشياطين في الأرض حيران .

ومنها بيان حال من يتصدون لتوجيه الناس كالشعراء، وهم خطباء الناس والمؤثرين فيهم بسحر البيان قديمًا، تمامًا كخطباء الإعلام اليوم، وكيف أنهم لا يستقرون على حال. بل حالة من التيه والتشتت، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ٢٢٤ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ٢٢٥ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ٢٢٦﴾[٢] ، والمعنى: " في كل لغوٍ يخوضون[٣]

وفي القرآن الكريم بيان شديد الوضوح لأن الله هو المبدئ المعيد.. خالق كل شيء، وفوق كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، سبحانه وتعالى وعز وجل. بمعنى مركزية مطلقة لله رب العالمين، ويظهر هذا المعني (المركزية المطلقة لله رب العالمين) مما علمنا الله في كتابه من أن كل شيء مخلوق من الله، وتأتي صفة الخلق مقرونة بصفات أخرى تبين هيمنة الله على خلقه علمًا وقدرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١﴾[٤] ، أي "بما كان أو يكون فلا يخفى عليه شي"[٥]

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾[٦] ، والمعنى: "أحدث كل شيء إحداثًا يراعي فيه التقدير والتسوية، فقدره تقديرا وهيأه لما يصلح له. مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر

---

(١) ينظر: "لباب التأويل في معاني التنزيل" للإمام علي بن محمد البغدادي (الخازن)، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٢، ص١٤٦.

(٢) سورة الشعراء (٢٦): الآيات ٢٢٤ – ٢٢٦.

(٣) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، (القاهرة، دار هجر، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ج١٧، ص٦٧٦.

(٤) سورة الأنعام (٦): من الآية١٠١.

(٥) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام محمد بن أحمد القرطبي، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، ج١٧، ص٢٣٦.

(٦) سورة الفرقان (٢٥): من الآية ٢.

(المستوي) الذي تراه، فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في باب الدين والدنيا، وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة ما مطابقا لما قدر له غير متخلف عنه"[1] وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ١٦﴾[2] ، "يقول: وهو الفرد الذي لا ثاني له، القهار الذي يستحق الألوهة والعبادة"[3]؛ وقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ فَٱعۡبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ١٠٢﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾[5]. " يقول: وهو على كل شيء قيم بالحفظ والكلاءة"[6].

ويظهر، أيضًا، مما علمنا الله في كتابه من أن كل شيء يرجع إلى الله ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨﴾، ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ﴾، " يقول: إن إلى الله الإياب، وعليه الحساب "[7]﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ٤٢﴾ . " أي: منتهى الخلق ومصيرهم وهو مجازيهم بأعمالهم (٤).

وقيل: منه ابتداء المِنَّة وإليه انتهاء الأم"[8]. ويتضح، كذلك، مما أمرنا الله به عند المصائب من رد الأمر إليه، يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[9] ، ومعنى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي: " أي نحن

(١) ينظر: "مفاتيح الغيب" للإمام محمد بن عمر بن الحسن الرازي، مرجع سابق، ج٢٤، ص٤٣٠.

(٢) سورة الرعد (١٣): من الآية١٦.

(٣) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج١٣، ص٤٩٦.

(٤) سورة الأنعام (٦): من الآية ١٠٢.

(٥) سورة الزمر (٣٩): من الآية ٦٢.

(٦) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٢٠، ص٢٤١.

(٧) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق،ج٢٤، ص٣٤٣.

(٨) ينظر: "الكشف والبيان عن تفسير القرآن" للإمام أحمد بن إبراهيم الثعلبي، (السعودية، دار التفسير، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، ج٢٥، ص١٦٢

(٩) سورة البقرة (٢): الآيات ١٥٦ – ١٥٧.

وأموالنا للهِ ونحن عبيده يصنع بنا ما شاءَ، وفي ذلك صلاح لنا وخيرٌ" ومعنى ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي نحن مصدقون بأنا نُبْعث ونُعْطي الثَّوابَ على تصديقنا، والصبرَ علَى ما ابتَلانا به [١] فأرشدنا الله إلى الرجوع إليه، و:"أخبر الله أن المؤمن إذا سلم الأمر إلى الله ورجع واسترجع عند المصيبة، كتب له ثلاث خصال من الخير: الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبيل الهدى. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته، وأحسن عقباه، وجعل له خلفًا صالحًا يرضاه"[٢]. ومن هذا القبيل الأمر بأن يتجه العبد إلى الله في كل أحواله، يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾[٣]. والمراد بالنسك جميع أعمال البر والطاعات، و﴿ وَمَحۡيَايَ﴾ أي ما أعمله في حياتي و﴿ وَمَمَاتِي﴾ أي ما أوصي به بعد وفاتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي أفرده بالتقرب بها إليه[٤].

والمعنى الكامن في جعل المركزية لله أن الأشياء تأخذ قيمتها من التشريع الرباني، فالحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله، والحسن ما حسنه الله والقبيح ما قبحه الله في كتابه وسنة نبيه، صلى الله عليه وسلم .

وفي مقابل هذا المنهج القويم والنور المبين نجد المناهج التي مصدرها أهواء البشر، وذلك أنه في الواقع المشاهد، الذي نعيشهُ ونجدُ أثرَه، بدأت المناهج التي رفضت القرآن الكريم والسنة النبوية (الوحي) من الوضعية Positivism. وتعني الإيمان بما هو مشاهد فقط.. تعني الإيمان بالعالم المشاهد على وضعه. أو الإيمان بالماديات وإنكار الغيبيات (الوحي)؛ وهذا الاتجاه يرفض تفسير

(١) ينظر: "معاني القرآن وإعرابه" لإبراهيم بين السري بن سهل الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٢٣١.

(٢) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٢، ص٧٠٧.

(٣) سورة الأنعام(٦): الآيات ١٦٢ – ١٦٣.

(٤) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام محمد بن أحمد القرطبي، مرجع سابق، ج٧، ص١٥٢.

الوحي للحياة الدنيا وما بعدها (الآخرة وما فيها)؛ ويقوم على وحدة المنهج بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية؛ ويرتبط بأدوات منهجية حسية مثل: الملاحظة والتجريب والطرق الإحصائية[١]. ثم تعرض هذا الاتجاه المادي لنقد من اتجاهات أخرى تؤمن بما وراء المادة من غيبيات (وهي الاتجاهات المعيارية/ القيمية)، أيًا كان مصدر هذه الغيبيات. والملاحظة الأهم في كلا الاتجاهين: ليس فقط أنهما متضادين، وإنما، أيضًا، أن في داخل كل تيار تناقضات كبيرة وتغيرات مستمرة، فلا تكاد تجد ثابتًا (يقينًا). فالثابت في هذه المناهج هو عدم الثبوت (اللايقين)، أو حالة من السيولة في كل شيء[٢]. وتظهر هذه السيولة في شكل كم هائل من النظريات المتضاربة التي تستخدم في التربية والبناء الإنساني[٣]. والسبب الرئيس في هذا التيه والتشتت هو أن المرجعية للبشر لا الوحي. فهؤلاء أعرضوا عن الهدى بعد إذ جاءهم واتبعوا أهواءهم. حالهم كحال ثمود.. قوم صالح، عليه السلام، يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴿١٧﴾﴾. والمعنى: "بينا لهم سبيل الحق وطريق الرشد" "فاختاروا العمى على البيان الذي بينت لهم والهدى الذي عرفتهم"[٤]، وحال من قال

(١) من الأمثلة على هذا الاتجاه.. من مجال التربية والبناء الإنساني: " المدرسة السلوكية"، ينظر "خصائص المدرسة السلوكية" لإيمان حامد، موقع سطور ، أخذ بتاريخ: خصائص المدرسة السلوكية - سطور(sotor.com)

(٢) من أهم من رصد حالة سيولة المفاهيم (أو عدم الاستقرار المجتمعي) في المنظومة الغربية عالم الاجتماع البولندي "زيجمونت باومان" (١٩٢٥م-٢٠١٧م)، في سلسلة من الكتب تحت مسمى السيولة، من أهمها: "الحداثة السائلة" (وهو الذي يتناول موضوع البحث)، و "الحب السائل"، و"الشر السائل"، و "الخوف السائل"، و "المراقبة السائلة"، والقضية الرئيسية التي يعالجها "زيجمونت باومان" في مؤلفاته هي أن الغرب يعيش نهاية المجتمع المستقر. ينظر: "الحداثة السائلة" لزيجمونت باومان، ترجمة حجاج أبو جبر، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٦م).

(٣) ينظر: "منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية"، لمحمد محمد امزيان، (الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

(٤) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٢٠، ص٣٠٢، ص٣٠٤.

الله فيهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾[١]، "والشراء هنا مستعار. والمعنى استحبوا الكفر على الإيمان.. فعبر عنه بالشراء، لأن الشراء إنما يكون فيما يحبه مشتريه"[٢].

ثانيًا: ثنائية النظر للإنسان:

عند التأمل في النماذج المعرفية البشرية التي لم تهتد بهدي الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ. تلك التي زعمت مركزية الإنسان في الكون، نجد أننا أمام ثنائية في النظر للإنسان. أو: أن هذه النماذج المعرفية، والتي تسعى لبناء الإنسان في الواقع المشاهد، تفرِّق بين البشر بعضهم بعضًا. فبعض البشر، داخل هذه النماذج، مُستذل.. تابع.. يعامل كالآلة، وبعضهم حاول أن يجعل نفسه سيدًا مسيطرًا على أسباب القوة والنفوذ.. مركزًا للكون بتعبيرهم.

وتظهر هذه الازدواجية من المحتوى المعرفي داخل هذه النماذج. فبعض المعارف تسعى لتوطين فكرة أن الإنسان حيوان ناطق، تطور من حيوانٍ آخر، وأن حاجاته لا تتجاوز الحاجات الأولية التي يشترك فيها مع الحيوانات (الطعام والشراب التزاوج) وإن تدرج صعودًا فالبحث عن الأمن في سربه وإثبات الذات بين أقرانه، ويُنْشَر هذا الكلام على أنه حال أغلب الناس[٣]. وإن تحدثوا عن الأخلاق فلكل بيئة أخلاقها، بمعنى أن الفرد العادي يكتسب الأخلاق مما هو سائد في بيئته، وكأن هذا النوع من البشر (وهم أغلب الناس) بلا عقل أو أن الحديث عن أن لهم عقلًا مهزلةً كما زعم علي الوردي في كتابه "مهزلة العقل البشري"[٤].

---

(١) سورة البقرة (٢): من الآية ١٦.

(٢) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام محمد بن أحمد القرطبي، مرجع سابق، ج١، ص٢١٠.

) يشتهر هنا نظرية "ماسلو للحاجات" وهي نظرية وضعها عالم النفس الأمريكي (أبراهام هارولد ماسلو ١٩٠٨م-1970م)، ينظر: "هرم ماسلو للحاجات" موقع سطور، أخذ بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠٢٣: https://2u.pw/2rRQeG

(٤) ينظر: "مهزلة العقل البشري" لعلي الوردي، (لندن/ بيروت، دار كوفان للنشر بلندن، توزيع دار الكنوز الأدبية بيروت، ١٩٩٤م).

والمقصود أن هذه المناهج، التي لم تهتد بهدي القرآن تسعى لبناء نوعين من الإنسان، أحدهما مهمش بل يعيش ضمن "حالة الاستثناء" وضمن إجراءات معيشية يتحرك فيها مقهورًا كأنه دابة أو آلة[١]. وبعض البشر، داخل النموذج الأرضي (الوضعي)، على النقيض من ذلك.. مترف يحصل على ما يريد ويستحوذ على أسباب القوة والنفوذ. وهؤلاء هم الذين يقاومون التغيير الذي يحدثه الوحي، وفي القرآن الكريم أنهم يكفرون عنادًا واستكبارًا، و يصدون عن سبيل الله من آمن، ويتخذون ما استطاعوا من حيل (مكر) في سبيل ذلك، ويصفهم العليم الخبير في كتابه بالمترفين وأكابر مجرميها[٢]، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾[٣]، ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا

(١) قدم عدد من العلماء الغربيين أنفسهم قراءة نقدية لهذا البعد في المناهج الغربية التي تعنى ببناء الإنسان، من أهمهم العالم الإيطالي المعاصر جورجيو أجامبين (من مواليد ١٩٤٢م، أستاذ فلسفة الجمال بكلية العمارة بفينيسيا)، ينظر: "حالة الاستثناء"، جورجيو أجامبين، ترجمة: ناصر إسماعيل، (القاهرة، مدارات للبحث والنشر، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥). والعالم البولندي زيجمونت باومان، ينظر: "الحداثة والهولوكوست" لزيجمونت باومان، ترجمة: حجاج أبو جبر و دينا رمضان، (القاهرة، مدارات للأبحاث والنشر، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م)، والعالم الفرنسي "ميشيل فوكو" (١٩٢٦م-١٩٨٤م)، ينظر: "المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن" لميشيل فوكو، ترجمة علي مقلد، (بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٩٠م). وهذا النوع من النقد الذي يقدمه هؤلاء يبين أن الملأ في المجتمعات الغربية يحاولون تطويع الناس والتحكم في عاداتهم وسلوكهم بأدوات شتى، كالمؤسسات المجتمعية بعمومها وليس السجن فقط (وهذا ما يذهب إليه ميشيل فوكو في كتابه المراقبة والمعاقبة)، أو من خلال تعميم حالة الاستثناء.. تلك التي يقِلُ، أو ينعدم، فيها استخدام القانون وتجرى الأحكام العرفية من أجل مزيد من السيطرة والتوجيه للناس؛ أو من خلال تعميم ظرف الاستثناء (وهذا ما يقوله جورجيو أجامبين)، أو من خلال تعميم الهولوكوست ضد الشعوب قدر المستطاع، وهذا ما يقوله "زيجمونت باومان". والمحصلة هي احتقار الإنسان واستعباده.

(٢) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٦، ص٥٢١.

(٣) سورة الأنعام (٦): من الآية ١٢٣.

وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾[١]، ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾[٢]، يكفرون ويزدرون من آمن، ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾[٣] ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾[٤].

ولم يتوقف الأمر عند الترف الذي يظهر في التبذير في المسكن والمأكل والمشرب والمركب، وإنما تعداه لدعوى سيادة الإنسان وقدرته على التحكم في الكون، والمقصود هو الإشارة إلى أن الخلل منهجي.. الإشارة إلى أن البعد عن الوحي في بناء الإنسان المعاصر أنتج إنسانًا ظن بنفسه القدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله القاهر فوق عباده، وظن أنه مخلد في الدنيا مع أنه لم يخلقها، بل لم يخلق نفسه ولا ما حوله ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[٥] "فالله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا"[٦].

ثالثًا: علاقة الإنسان بالأشياء من حوله.

من الأمور التي تُحدث فرقًا في البناء الإنساني في كل منهج: طبيعة العلاقة بين الإنسان والأشياء من حوله، وفي تقديري أن هذا المعنى (طبيعة العلاقة بين الإنسان والأشياء من حوله) منطقة يجب علينا أن نقف عندها ونتأمل جيدًا، وأحاول في هذه الدراسة إبراز بعدين، أولهما: التملك والأمانة، وثانيهما: التأثر والتأثير، وذلك على النحو التالي:

---

(١) سورة سبأ (٣٤): الآيات ٣٤ – ٣٥.

(٢) سورة الإسراء (١٧): آية ١٦.

(٣) سورة الشعراء(٢٦): آية١١١.

(٤) سورة هود (١١): آية ٢٧. أورد الإمام ابن كثير هذا المعنى وفصل فيه، ينظر: "تفسير القرآن العظيم" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٦، ص٥٢٠.

(٥) سورة الطور (٥٢): الآيات ٣٥ – ٣٦.

(٦) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٧، ص٤٢٧.

التملك والأمانة:

في المناهج الأرضية تقوم العلاقة بين الإنسان والأشياء على التملك. فالإنسان (الذي تم بناؤه من خلال مناهج أرضية) يتعامل مع الأشياء من حوله على أنها ملك له. يستطيع أن يفعل ما يقدر عليه، وخاصة إن غاب الرقيب. ولذا يسعى لتحقيق ما يراه مصلحةً له، وقد يُفسد تحقيقًا لمصلحته إن لم يدفعه عن الفساد دافع[١]، ولذا تحتاج المنظومات الأرضية كما غفيرًا من القوانين والفاعليات من أجل ضبط سلوك الفرد والمجتمع، بخلاف النموذج الإسلامي[٢].

وفي المنهج الإسلامي علاقة الإنسان المسلم بالأشياء علاقة أمانة ومسئولية، بمعنى أنه مؤتمن على ما أنعم الله به عليه ومسئول عن نعم الله يوم القيامة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[٣]، **والأمانة هي الفرائض**[٤] **ويقول الله تعالى:** ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾[٥] ، **والسؤال يعني المحاسبة والسياق فيه معنى التهديد**[٦] **وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه: سمع رسول الله ﷺ يقول:** «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ

(١) ناقشت هذا الأمر بالتفصيل في بحث سابق، ينظر: "عمارة الأرض بين منهجين" لإيناس جلال القصاص، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة دمنهور عدد يونيو ٢٠٢٢م.

(٢) يقاس على النموذج التطبيقي الأول للوحي وهو حال النبي ﷺ وصحابته، والخلفاء الراشدين. ولا يحتج بتعقيدات المجتمع الآن، فهذه التعقيدات من آثار سيطرة النماذج الأرضية.

(٣) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٧٢.

(٤) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام محمد بن أحمد القرطبي، مرجع سابق، ج١٤، ص٢٥٥.

(٥) سورة الأحزاب (٣٣): الآية ٨.

(٦) ينظر: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" للشيخ محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، (تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م)، ج٢١، ص٢٨٩.

مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[١]، قال: فسمعت هؤلاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحسب النبي ﷺ قال: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»".

فالمنهج القرآني يبني إنسانًا يَعلم أنه مخلوق ومؤتمن ومسئول وبعد الموت يبعث ويسأل، وبالتالي يستحضر مراقبة الله له، ويُصلح ولا يُفسد رجاء الثواب وخوفًا من العقاب.

التأثير والتأثر:

من الأسئلة التي تستحق التأمل والبحث عن إجابات حقيقية وخاصة للمهتمين ببناء الإنسان سؤال: التأثر والتأثير بين الفرد والبيئة التي يعيش فيها. هل الإنسان هو الذي يؤثر في بيئته؟ أم أن البيئة هي التي تؤثر في بناء الإنسان؟

يذهب علم الاجتماع الحديث، إلى القول بأن تأثير البيئة حتمي، بمعنى أن الإنسان يتم بناؤه على القيم السائدة في مجتمعه. وهو قولُ ابن خلدون، ويسميه "قوانين الاجتماع الإنساني"، أو "تطبيق الأحوال على الوقائع"، بمعنى أن هذه القوانين حاكمة على غيرها[٢]. بمعنى أن الواقع هو مصدر القيم، وبمعنى أن الواقع (البيئة) هو الذي يُنشئ الأخلاق ويؤسسها. وحتمية الواقع تفيد، أيضًا، النسبية، وذلك أن لكل واقع حتمية، فما تعارف عليه الناس هنا غير ما تعارفوا عليه هناك... وهكذا!! وقد احتفى الغرب بمقولة ابن خلدون هذه، وربما يكون السبب في هذا الاحتفاء يرجع إلى أنه أراحهم

(١) ينظر: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، (بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧)، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ج١، ص٣٠٤.

(٢) ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١، ص٤٦. وذكر ذلك حال نقده لأخبار السابقين له من المؤرخين، يقول الأخبار منها إنشائي ومنها وقائع (أحداث)، وأن الإنشاء يعتبر فيه الجرح والتعديل للراوي، وأن الأحداث لابد أن تحاكم لما سماه "قانون الاجتماع الإنساني"، وأن سبب وجود أخبار كاذبة في كتب التاريخ- حسب ابن خلدون- هو الجهل بقوانين الاجتماع الإنساني. بمعنى أنه يرى أن قوانين الاجتماع الإنساني ثابت يحاكم إليه غيره. وإلى هذه (حتمية الواقع) اتكأ علم الاجتماع الحديث، وهذا واضح في كلام على الوردي كما سيأتي في السياق.

من معضلة البحث عن مصدر للقيم، وذلك أنه بعد تنكرهم للوحي اتجهوا للواقع كمصدر للقيم[١]. وانتقلت هذه المقولة (حتمية البيئة، أو أن البيئة هي مصدر القيم) لعلم الاجتماع في بلاد المسلمين. ونضرب مثالًا بالدكتور علي الوردي، وهو من مشاهير علم الاجتماع ومن المعنيين بدراسة الفرد وسلوكه وما يؤثر في بنائه، حيث تبنى الرؤية الغربية، أو: تبنى مقولة ابن خلدون (حتمية البيئة)، وكتب كتابًا عنوانه "مهزلة العقل البشري"[٢]. نافح في هذا الكتاب عن فكرتين أساسيتين: الأولى: حتمية تأثير البيئة، والثانية: حتمية تطور المجتمعات (والتطور عنده بمعنى التغير في سياق التبعية للغرب). فادعى أن "الأبحاث العلمية الحديثة تكاد تجمع على أن العقل البشري صنيعة من صنائع المجتمع، وأن

(١) نقل ناشر مقدمة ابن خلدون عددًا من إشادة كبار العلماء الغربيين بابن خلدون، ينظر: "مقدمة ابن خلدون" لعبد الرحمن بن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، (دمشق، دار يعرب، ٢٠٠٤، ١٤٢٥)، ص٧١-٧٣. وسبب الاحتفاء بهذه المقولة هي أنها حلت للغرب مشكلة مصدر القيم. فبعد أن مارسوا النقد النصي على "الكتاب المقدس" وثبت عدم وجود مخطوطات كتبت في عهد المسيح وبين يديه، وبعد أن تبين بوضوح أن حديث الكتاب "المقدس" عن عمر الإنسان على الأرض غير دقيق (سفر التكوين- الإصحاح١١)، وكذلك وصفهم للأرض بأنها ذات زوايا أربع، بمعنى مربعة وليست كروية (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي: ٧ : ١). فقدوا الثقة في "الكتاب المقدس" كمصدر للمعرفة واتجهوا للآثار كمصدر معرفي وخاصة في معرفة التاريخ، واتجهوا للسائد في البيئة كمصدر للقيم، وفي هذا السياق احتفوا بمقولة ابن خلدون (قوانين الاجتماع الإنساني).

(٢) ينظر: "مهزلة العقل البشري" لعلي الوردي، مرجع سابق.

العقل لا ينمو ولا ينضج إلا في زحمة الاتصال الاجتماعي"[١]، وأن السلوك الإنساني (الظواهر الاجتماعية) منبتها المجتمع، وضرب مثلًا بشيوع الانحراف الجنسي (الشذوذ)[٢]. يقول ظهر بعوامل اجتماعية بحتة تتمحور حول غياب المرأة عن الرجل، كما في حالة البحارة الذين يبتعدون عن نسائهم شهورًا، والجنود، والرهبان، والأماكن التي ينتشر فيها الحجاب إن أدى إلى فصل تام بين الرجال والنساء[٣]. فاجتمع عند علي الوردي أن بناء الفرد وبناء الظواهر الاجتماعية إنما يكون من صنع البيئة،

(١) ينظر: "مهزلة العقل البشري" لعلي الوردي، مرجع سابق، ص١٣٣ بتصرف يسير. وكلامه في سياق نقد الفلسفة العربية القديمة، والتي تبناها ابن الطفيل في رسالة "حي بن يقظان" وغيره من الفلاسفة الذي ظهروا في سياق الحضارة الإسلامية، والتي تقوم فلسفتهم على أن عقل الإنسان ينمو تدريجيًا مع جسده ويعقل من تلقاء نفسه دون حاجة للوحي. والوردي يرفض ترشيد الإنسان لنفسه ويدعي أن الرشد والضلال من المجتمع. والوحي غائب تمامًا عن الأطروحتين (قدماء الفلاسفة الذين ينتقدهم الوردي وأطروحة الوردي نفسها). والوردي متمسك برأيه رغم أنه تلقى مداخلات كثيرة من قبل الشرعيين في الوسط الشيعي الذي هو منه والوسط السني. ينظر "مهزلة العقل البشري" لعلي الوردي، مرجع سابق، ص٧-١٠، وص٣٧. وللوقوف على عرض مباشر مختصر للفكرة والرد عليها من شخصه هو، ينظر: "ندوة مكتبة الروضة الأدهمية" أخذ بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠٢٣، من الرابط:

YouTube - من مكتبة الروضة الأدهمية - ندوة الخميس - الدكتور علي الوردي - ورديات٦مايس١٩٩٣ (78)

(٢) ينظر: "مهزلة العقل البشري" ص١١-١٢.

(٣) وكلامه مردود. وذلك أن الشذوذ ظهر في قوم لوط، عليه السلام، مع أن الرجال لم يفارقوا النساء. وكذلك استحدثت الظاهرة فيهم ولم تكن فيمن قبلهم ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ سورة العنكبوت(٢٩):الآية ٢٨. إنه يتجاهل وساوس الشيطان في ظهور العصيان. فقد أورد أهل التفسير أن بداية ظهور الفاحشة في قوم لوط كانت من إبليس نفسه حين تمثل لهم غلامًا حسن المنظر ومكنهم من نفسه. ينظر: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (بيروت، دار الفكر، ١٤٣١ه)، ج٣، ص٤٩٦. ويتجاهل أيضًا أثر الوحي في صلاح حال الناس، كما حدث في مكة والمدينة حين نزل أول مرة، فقد غير الله بالقرآن الكريم حال أهل الجاهلية فأصبحوا خير أمة أخرجت للناس، ولم يتعرضوا لأكثر من الوحي كتابًا وسنة.

وأن السياق العام الذي يعيش فيه الإنسان المعاصر هو سياق متطور، أو تيار جارف بتعبيره، سيأخذ معه كل المتمسكين بالقديم (يعني التقاليد الإسلامية).

وصدّر الغربيون هذا المفهوم (أو المقولة التفسيرية) التي تتمحور حول: حتمية الواقع، أو سيادة الواقع، أو قوانين الاجتماع الإنساني، صدَّروها لمن تبعهم كمسلمة غير قابلة للتفكير. وفي ذات الوقت تتحدث نخبتهم عن أن الواقع يُبنى (يصنع) وأن هذا العالم الذي نعيش فيه "عالم من صنعنا"، و"النظرية البنائية" من أشهر نظريات التربية والتعليم(١). ولذا نستطيع أن نقول أننا أمام ازدواجية، فبعض الناس يَصنعون الواقع وهم النخبة (الملأ/ الذين استكبروا) المتنفذة التي تستحوذ على أسباب القوة والنفوذ، وبعض الناس يتم بناؤهم تبعًا للسائد في الواقع المصنوع وهم عوام الناس (الذين استضعفوا). ويظهر أثر هؤلاء (الذين يصنعون الواقع) في المنطقة التي يكثر فيها الحديث عن صُنعَ عادات الناس والتحكم في سلوكهم، خاصةً بعد التطور التكنولوجي وانتشار أدوات التواصل الحديثة، ويعنيني هنا الإشارة إلى أن التكرار أحد أهم الوسائل المتبعة عند هؤلاء الذين يقومون ببناء الواقع والإنسان... تكرار العرض، وتكرار المعلومة، وصناعةُ النموذج (المثَل) (القدوة) وتكرارُ عرضه على الناس. ونستطيع أن نقول: بفعل التكرار تم صناعة الإنسان المعاصر، من خلال الإعلانات في الشوارع وفي التلفاز وشبكات التواصل الاجتماعي وكل مكانٍ يتواجد فيه الإنسان، استطاعت الشركات الكبرى المنتجة للسلع الاستهلاكية (مأكولات، أو مشروبات، أو هواتف خلوية)، بفعل هذا التكرار المستمر التحكمُ بنسبة كبيرة فيما يأكل الفرد، ويشرب، ويلبس، ويسمع، ويشاهد، وفيما يتحدث فيه من موضوعاتٍ، بل وفيما يفكرُ فيه ويهتمُ به من قضايا، بمعنى أنه تم بناء الإنسان من خلال التكرار. فالتكرار ينشئ العادة ويثبتها(٢).

---

(١) ينظر: "نظريات التعلم: النظرية البنائية"، موقع "تعليم جديد"، أخذ بتاريخ ٢٧/ ٣/ ٢٠٢٣:

https: //www.new-educ.com /theories-dapprentissage-le-constructivisme

(٢) ينظر: "قوة العادات: لماذا نعمل ما نعمل في الحياة الشخصية والعملية؟" لتشارلز دويج، (السعودية، مكتبة جرير، ٢٠١٣).

ومع التكرار شـيء آخر وهو البناء التدريجي، أو التراكمية. وإن في القرآن الكريم نجاة من هذا الكم الهـائـل من التـأثير على الفرد والمجتمع كمـا سـأبين، إن شـاء الله، في المبحـث الثـاني[١].

(١) عالجت هذه النقطة بشيء من التفصيل في بحث مستقل بينت فيه أن القرآن الكريم غيّر الله به واقع مكة، والمدينة، والجزيرة العربية، وفارس، والرومان، والعالم كله، ينظر: "مجتمع مكة والمدينة قبل القرآن وبعده" لإيناس جلال القصـاص، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية أصـول الدين والدعوة الإسـلامية بالمنوفية، والمنعقد بتاريخ١٣-١٤ شـعبان ١٤٤٤ه، الموافق ٥-٦ مارس٢٠٢٣م، بعنوان: "النتاج العلمي التراثي والمعاصـر في مرايا الباحثين".

المبحث الثاني

التكرار والنمو كأحد أساليب القرآن الكريم في بناء الفرد الصالح والمجتمع الصالح

جعل الله، العليم الخبير سبحانه وتعالى وعز وجل، التزكيةَ على تلاوة القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[1]، والتزكية هي التطهير "من رذائل الأخلاق ودَنَس النفوس وأفعال الجاهلية"، " فكانوا في الجاهلية الجَهْلاء يُسفَهُون بالقول الفرَى، فانتقلوا ببركة رسالته، ويُمن سفارته، إلى حال الأولياء، وسجايا العلماء فصاروا أعمق الناس علمًا، وأبرهم قلوبًا، وأقلهم تكلفًا، وأصدقهم لهجة"[2].

فالتزكية التي جاءت بتلاوة القرآن الكريم من محمد ﷺ على أصحابه، رضي الله عنهم، أحدثت هذا التحول الهائل في الفرد وفي المجتمع (المدينة ومكة)، وفي الجزيرة العربية بين القبائل المتناحرة، وفي العالم كله (فارس، والرومان، وأفريقيا، والمغرب، والسودان، ودول جنوب شرق أسيا، الأندلس، وحيثما تُلي القرآن ممن يؤمنون بالله ورسولهﷺ). دون خوارق العادات كما صنع الله لنبيه موسى، عليه السلام، حين شق البحر له ولقومه، وأغرق لهم عدوهم (فرعون وجنوده). فكان القرآن الكريم علاجًا للنفوس وكاشفًا عن مواهب المؤمنين، وسجلًا جامعًا للشرائع النابعة من فطرة الله في الإنسان حيثما

---

(١) سورة آل عمران (٣): آية ١٦٤ . بخلاف إبراهيم عليه السلام الذي ظن أن التزكية تكون على التعلم وليس مجرد التلاوة، يقول الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ سورة البقرة (٢): الآية ١٢٩ .

(٢) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج١، ص٤٦٤ .

كان وأينما وُجد[١].

وللتزكية، التي تُحدث تغيرًا في بناء الفرد والمجتمع، أساليب كثيرة أختارُ منها أسلوبين: التكرار والتدرج (النمو التدريجي)، واخترت هذين الأسلوبين لانتشارهما في المناهج الأرضية (الوضعية) الحديثة التي يتم من خلالها بناء الإنسان المعاصر على قيمٍ ننكر منها أكثر مما نعرف. أي من باب المشاكلة، ومحاولة لإبراز بُعد آخر لظاهرة التكرار في القرآن الكريم، ولبيان أن المنهج القرآني يكفي لإحداث تغيير جذري وإخراج صالحٍ مصلح بمجرد التلاوة دون حاجة للمناهج الأرضة الحديثة .

أولاً: التكرار:

يعد التكرار من أبرز الظواهر في القرآن الكريم، سواءً تكرار اللفظ أم تكرار المعنى. وقد بين علماء الأمة بعض ما في التكرار من فوائد من ذلك: تقرير المعاني، وتأكيدها، وزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾[٢] فإنه كرر فيه النداء لذلك، وإذا طال الكلام وخشي تناسي الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديدًا لعهده مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾[٣] ، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ

(١) لمزيد من التفصيل حول أهمية بناء الإنسان، وأنها معجزة القرآن الأولى التي غير بها الواقع دون خوارق ينظر: "أسرار التكرار في القرآن الكريم: المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان" للإمام محمود بن حمزة الكرماني، (القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ت) ص٧-٩.

(٢) سورة غافر (٤٠): الأيات ٣٨ – ٣٩.

(٣) سورة النحل (١٦): الآية ١١٠.

وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٩﴾﴾[1] ، ومن فوائد التكرار: التهويل والتعظيم ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾[2] "ومن فوائد التكرار موافقة الأسلوب العربي كما في تكرار ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾[3] في سورة الرحمن[4].

والحقيقة أن التكرار مكوّن أساسي في بنية القرآن الكريم، بل هو من أساسياته، وليس أحد الظواهر البلاغية في القرآن الكريم. فبعض الآيات تتكرر كما هي، مثل قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٨﴾[5] ، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ۝١١٠﴾[6]، فضلًا عن الآيات التي تتكرر بألفاظ متقاربة، فضلًا عن تكرار القصص، فحين نقارن بين عدد الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم (خمسة وعشرين نبيًا

(١) سورة النحل (١٦): الآية ١١٩.

(٢) سورة الحاقة (٦٩): الآيات ١ – ٣.

(٣) سورة الرحمن (٥٥): الآية ١٣.

(٤)ينظر: "الإتقان في علوم القرآن" للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ج٢، ص٢٢٥. وينظر: "زاد المسير في علم التفسير" لعبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢ه)، ج٤، ص٢٠٨. وينظر: "أسرار التكرار في القرآن الكريم: المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان" للإمام محمود بن حمزة الكرماني، مرجع سابق. وذكر مثل ذلك الإمام القرطبي في تفسير سورة الكافرون، ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام محمد بن أحمد القرطبي، مرجع سابق، ج٢٠، ص٢٢٦. ونقلتُ عن السيوطي كونه جمّع عددًا أكبر من فوائد التكرار.

(٥) سورة يونس (١٠): الآية ٤٨.

(٦) سورة هود (١١): آية ١١٠، وسورة فصلت: آية ٤٥.

ورسولًا)[١] وعددهم على الحقيقة[٢] نجد أن الله اختار عددًا محدودًا من القصص وعرضه مفرقًا، أو مكررًا، في كتابه. فلم يتعمد حصر تاريخ الأنبياء ولا تاريخ البشر مرتبًا مفصلًا، بل قصّ الله علينا ما فيه عظةً لرسوله ﷺ ولنا، قصّ علينا من أنباء مَن سبق، يقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾[٣] ، والنبأ يتعلق بما برز ووضح من الأخبار لا كل الأخبار[٤]. بمعنى أن الهدف هو التربية والبناء على عدد من القيم لا حشد أكبر كم من المعارف في ذهن المتلقي.

ومن خلال عدد من المفاهيم القرآنية نستطيع أن نقرر أن **التكرار في القرآن الكريم، وفي الشريعة عمومًا، أحد أهم العوامل في بناء الشخصية المؤمنة.** تلك التي تَستحضر مراقبة الله في شأنها كله، وتستحضر حال من أطاع الله من السابقين وكيف نجاهم الله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. وحال من عصا الله وكيف أخزاهم الله في الدنيا والآخرة، وتَستحضر الجنة وما أُعد فيها من النعيم المقيم للطائعين الصالحين المصلحين والنار وما فيها من العذاب الأليم للعاصين الفاسدين المفسدين فيستقيم على ما

---

(١) منهم ثمانية عشر نبيًا ورسولا ذكرت أسماؤهم في موضع واحد من القرآن في سورة الأنعام، في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ الأنعام: ٨٣ – ٦ والباقون ذكروا متفرقين في القرآن الكريم، وهم: آدم وهود وصالح وشعيب وإدريس وذو الكفل ونبينا محمد، عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

(٢) عدد الأنبياء والرسل كم غفير يستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ سورة النحل (١٦): من الآية ٣٦، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ سورة فاطر(٣٥):٢٤.

(٣) سورة طه (٢٠) آية ٩٩.

(٤) ينظر: "لسان العرب" لمحمد بن مكرم بن منظور، (بيروت، دار صادر، د.ت)، ج١، ص١٦٢، وينظر: "مجمل اللغة" لأحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، (بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٨٥٣ .

شـرعه الله له فيسـعد في نفسـه ويسـعد به من حوله، هذه المفاهيم هي: القرآن مثاني، تصـريف الآيات، القراءة على مكث، لنثبت به فؤادك، والاسترسال، أدومه وإن قل.

القرآن مثاني:

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[1]. والمثاني هي الأمور التي تُثنّى، أي تعاد وتُكرّر. يُثنى ذكر الأنباء والقصص وذكر الثواب والعقاب[2]. وعند الطبري عن ابن عباس، رضي الله عنه، قال: "كتاب الله مثاني، ثنى فيه الأمر مرارًا". وتعني ﴿مَّثَانِيَ﴾ ، أيضًـا، "مردد، ردد موسـى في القرآن وصالح وهود والأنبياء في أمكنة كثيرة"[3].

والتكرار (التثنية) طَرقٌ للمعنى بأسـاليب مختلفة كي تتضـح الموعظة في حس المتلقي، ولذا نص العلماء على أن القرآن يفسرُ بعضه بعضًـا، أو يوضـح بعضه بعضًـا[4]. ومن الأمثلة على ذلك، وصف

(١) سورة الزمر (٣٩): من الآية ٢٣.

(٢) ينظر: "غريب القرآن"، للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (بيروت، دار الكتب العملية ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م)، وذهب أهل العلم إلى أن المقصود بالمثاني في قوله ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ٨٧﴾ الحجر: ٨٧، هي سورة الفاتحة بخلاف طاووس فقد ذكر أنها القرآن كله يستدل بآية الزمر ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ سورة الزمر: من الآية٢٣. ويكون معنى مثاني هنا أنها تثنى (تكرر) في الصـلاة، وقد جمع ابن كثير أقوال العلماء في هذا المعنى ينظر: "تفسير القرآن العظيم" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج١، ص١٠٣.

(٣) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٢٠، ص١٩٢

(٤) ينظر: "تهذيب اللغة" لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ج٤، ص٧٠. وينظر: "لسـان العرب" لمحمد بن مكرم بن منظور، مرجع سـابق، (بيروت، دار صـادر، ١٤١٤ه)، ج١٥، ص١٤٣.

حال الجبال يوم القيامة في القرآن الكريم[١]: يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾[٢]، " أي: تسير في الجو. أو يذهب بها، بأن تجعل هباء منبثا"[٣] ويقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ طه: ١٠٥ -١٠٧، ﴿قَاعًا﴾ أرضا ملساء، ﴿صَفْصَفًا﴾: يعني مستويا لا نبات فيه، ولا نشز، ولا ارتفاع"[٤]، يفسرها ما بعدها: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾. ويقول الله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنْبَثًّا ﴿٦﴾﴾[٥]. "أي فتتت من قولهم بسست الحنطة والسويق بالماء فتته به وهي البسيسة"[٦]. ﴿هَبَاءً مُّنْبَثًّا﴾ "أي ترابًا منتشرًا"[٧]. ويقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾[٨]. "والكثيب جمعه الكثبان،

---

(١) وفي القرآن الكريم أن الجبال تسجد، يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ سورة الحج (٢٢): ١٨، وأنها تسبح، يقول الله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ سورة الأنبياء (٢١): ٧٩، وأنها أوتاد للأرض، وأنها تكاد تخر هدًا من دعوى الولد لله.

(٢) سورة الكهف (١٨): الآية ٤٧.

(٣) ينظر: "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" للإمام محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ج٢، ص٧٢٦.

(٤) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج١٦، ص١٦٢.

(٥) سورة الواقعة (٥٦): الآيات ٥ – ٦.

(٦) ينظر: "المفردات في غريب القرآن" للحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، (بيروت، دار القلم، ١٤١٢ه)، ص١٢٢.

(٧) ينظر: "غريب القرآن" للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مرجع سابق، ص٤٤٥.

(٨) سورة المزمل (٧٣): الآية ١٤.

وهي القِطَع العظام من الرمل. ومعنى ﴿ مَّهِيلًا ﴾ سَائِلا قد سيلَ، وَأَصْل مَهيل مَهْيُول، يقال تراب مهيل وتراب مهيول أي مَصْبُوب"(١).

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾(٢). أي "من أصلها، فكانت هباء منبثًا"(٣).

ويقول الله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾(٤) " أي لا شي كما أن السراب كذلك: يظنه الرائي ماء وليس بماء. وقيل: سيرت نسفت من أصولها. وقيل: أزيلت عن مواضعها"(٥).

ويقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾(٦) والعهن هو الصوف المصبوغ(٧)، ووصفت بذلك " لأن ألوانها مختلفة، كألوان العهن"(٨) ذات المعنى (زوال الجبال يوم القيامة كأنها لا شيء مع ضخامتها في حس الناس في الدنيا) يكرر (يثني) بأساليب شتى. كل آية مثناة للأخرى تبين معناها وتوضحه. أو ذات المعنى يطرق من أبواب مختلفة، ليستقر في حس المتقي.

وكذلك يمكن استنباط الحث على المرور المتكرر على كتاب الله من معنى "الدراسة" التي من صفات الربانيين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ

(١)ينظر: "معاني القرآن وإعرابه" للإمام إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٥، ص٢٤٢.

(٢) سورة المرسلات (٧٧): الآية ١٠.

(٣) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٢٣، ص٥٩٠.

(٤) سورة النبأ (٧٨): الآية ٢٠.

(٥) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، مرجع سابق، ج١٩، ص١٧٦.

(٦) سورة القارعة (١٠١): الآيات ٤ – ٥.

(٧) ينظر: "المفردات في غريب القرآن" للحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، مرجع سابق، ص٥٩٢.

(٨) ينظر: "معاني القرآن للفراء"، للإمام يحي بن زياد الفراء، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت). ج٣، ص٢٨٧.

تَدۡرُسُونَ ٧٩ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ ١٦٩ ﴾[٢].

والدراسة: القراءة بتمهل للحفظ أو للفهم"[٣]، "ومادة درس تستلزم التمكن من المفعول فلذلك صار درس الكتاب مجازا في فهمه وإتقانه[٤].

ومما يؤكد على أن التكرار مقصود بهدف التذكير وترسيخ القيم في حس المتلقي ومن ثم التأثير على بنائه الفكري والتأثير في سلوكه بين الناس ما ذكره العليم الخبير في كتابه من تصريف الآيات[٥]، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ٤١ ﴾[٦]، "وأصل معنى التصريف التغيير والتبديل لأنه مشتق من الصرف وهو الإبعاد. وكني به هنا عن التبيين والتوضيح لأن تعدد أنواع

(١) سورة آل عمران (٣): الآية ٧٩.

(٢) سورة الأعراف (٧): من الآية ١٦٩.

(٣) ينظر: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" للشيخ محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج٧، ص٤٢٢.

(٤) ينظر: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" للشيخ محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج٣، ص٢٩٦.

(٥) والتصريف غير البيان المذكور في قوله تعالى ﴿ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٧٥ ﴾ المائدة: ٧٥، وغير التفصيل المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥ ﴾ الأنعام: ٥٥.

(٦) سورة الإسراء (١٧): الآية ٤١.

الأدلة يزيد المقصود وضوحا"[1] ﴿صَرَّفْنَا﴾ بينا[2]،﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَاتِ﴾[3]، " كيف نتابع عليهم الحجج ونضرب لهم الأمثال والعبر ليعتبروا ويذكروا فينيبوا"[4]. فالتصريف التغيير. بمعنى أنه يأتي للمسألة الواحدة ويذكرها بصور شتى يغيّر فيها حتى يوصلها لك، كما مرّ بنا في مثال وصف ما يحدث للجبال يوم القيامة.

ومما يبين أن تصريف الآيات إنما يكون ليفهم المتلقي مراد الله من خلقه، وبالتالي يمتثل، قول الله تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾، والمعنى "﴿نُصَرِّفُ الآيَاتِ﴾" نُبينها ونُوضحها ونُقرها" ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أَيْ: يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه"[5].

ومما يؤكد، أيضًا، على أن تكرار الألفاظ والمعاني على المتلقي مقصود لبنائه منظومته العقدية ومن ثم أنماط سلوكه بين الناس، ما حثنا الله عليه من تدبر كتابه، وقراءته على مكث، فقد جعل الله التدبر مقصودًا، بل جعله غاية من غايات إنزال كتابه، يقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[6]، وامتدح من تدبر ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا

(١)ينظر: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" للشيخ محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ج٢٦، ص٥٥.

(٢) ينظر: "إعراب القرآن" لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١ه).

(٣) سورة الأنعام (٦): من الآية ٤٦.

(٤) ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق، ج٩، ص٢٥١.

(٥) ينظر: "تفسير القرآن العظيم" للإمام إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ج٣، ص٢٧٧.

(٦) سورة ص (٣٨): الآية ٢٩.

صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾[١] " أي لم يتغافلوا عنها: فكأنهم صمٌّ لم يسمعُوها، عميٌ لم يَرَوْها"[٢]. وأنكر، سبحانه وتعالى، على من لم يتدبر كتابه، يقول الله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء: ٨٢، وقوله: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} محمد: ٢٤. وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن وتَفَهُّمَه وتَعَلُّمَه والعمل به، أمر لا بد منه للمسلمين.

"ومن تدبر كلامه، عرف الربَّ – عز وجل –، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تَفَضُّله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فَرْضِ عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذَّره مولاه الكريم، ورغب فيما رَغَّبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره، كان القرآن له شفاء، فاستغنى بلا مال، وَعَزَّ بلا عشيرة، وأَنِس بما يستوحش منه غيره، وكان هَمُّه عند التلاوة للسّورة إذا افتتحها: متى أتعظ بما أتلو؟ ! ولم يكن مراده: متى أختم السّورة؟ ! وإنما مراده: متى أعقل عن الله الخطاب؟ ! متى أزدجر؟ ! متى أعتبر؟ ! لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة"[٣] يقول الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾[٤]. ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، أي على تُؤدة وترتيل وترسل"[٥].

ومما يبين أن التكرار مقصود، وأنه أحد أهم الأدوات المعرفية لبناء الشخصية المؤمنة الصالحة المصلحة، تقسيم الصلوات على اليوم والليلة، وكذلك الأذكار ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ

(١) سورة الفرقان (٢٥): الآية ٧٣.

(٢) ينظر: "غريب القرآن"، للإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة، مرجع سابق، ص٣١٥.

(٣) ينظر: "أخلاق أهل القرآن" للإمام محمد بن الحسن بن عبد الله الآجُرِيُّ، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٣٦.

(٤) سورة الإسراء (١٧): الآية ١٠٦.

(٥) ينظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن" للإمام الحسين بن مسعود البغوي، (القاهرة، دار طيبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج٥، ص١٣٥.

غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾[1].

وكذلك الحث على المداومة على العمل، وفي الحديث: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ "[2] ، والمعنى " ما دام أي ما استمر في حياة العامل وليس المراد حقيقة الدوام التي هي شمول جميع الأزمنة"[3]

ومما سبق نستطيع أن نقرر بوضوح أن التكرار في الذكر الحكيم، والتكرار في الفرائض وما يتبعها من نوافل كالصلاة والصيام (الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر) من مقاصده بناء الإنسان.. أو صنع عاداته وتقاليده (تنميط[4] سلوكه) ففي القرآن الكريم عددٌ محدودٌ من القصص تمثل كل قصة نموذجًا محددًا من انحرافات البشر وتمثل، أيضًا، نموذجًا للثبات على القيم والمبادئ في وجه هذا الانحراف، بأسلوب المقارنة بين حال من آمن وحال من كفر في الدنيا والآخرة. ويستخدم التكرار بذات الألفاظ لترسيخ التشابه بين أنماط البشر وبين مآلات من آمن ومآلات من كفر. ويحدثُ تكرارٌ غيرُ مُخلٍ، ففي كل عرضٍ إضافةٌ- باعتبارِ السياقِ-، وفي كلِّ عرضٍ إظهارٌ لبيانٍ بهيٍ عطرٍ عالٍ منفردٍ أخَّاذٍ، وتكون المحصلةُ أن الذي يقرأُ كتابَ الله يمرُ عشرات المرات على عدد محدود من المفاهيم والقيم المركزية والقصص الهادفة التي تُثَبِّتُ هذه المفاهيم، ويمرُ عشرات المرات على النماذجِ المثاليةِ لحزب الرحمن، وهم الأنبياءُ ومن تبعهم بإحسان، ورؤسِ الشرِّ وهم الشياطينُ ومن

(١) سورة طه (٢٠): الآية ١٣٠.

(٢) ينظر: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، (بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧)، مرجع سابق، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، ج٥، ص٢٢٠١.

(٣) ينظر: "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩)، ج١٠، ص٣١٤.

(٤) النَّمَطُ: طريقة وأسلوب وشكل أو مذهب. وهم على نمط واحد أي متشابهون. والزَمْ هذا النمَطَ، أَي الْزَمْ هَذَا المذْهبَ والفَنَّ وَالطَّرِيقَ ينظر: "لسان العرب" لمحمد بن مكرم بن علي بن منظور، مرجع سابق، ج٧، ص٤١٧.

استجاب لغوايتهم. بمعنى: تُعرض القيمُ من خلال النماذج المثاليةِ لها. من ثم يحدثُ تَنْمِيطًا للشخصية. بمعنى أن التكرار يستخدم لتقرير المعاني كالإنذار والتبشير، والردع عن الشر والتحفيز لفعل الخير، "ولا يمكن إدراك هذه المعاني وتلك الفوائد والدلالات إلا عن طريق هذا الأسلوب"(١).

إن من يَرد مأدبة الله (القرآن الكريم) كل يوم، ويتردد على الصلاة خمس مرات في اليوم، فضلًا عن صلاة الليل، ويحافظ على الذكر قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل وأطراف النهار، ويصوم كل أسبوع يومين وثلاثة أيام وسط كل شهر أو يصوم كل عام شهرًا.. من يمتثل هذا البرنامج الرباني يكون حالُه على ما وصف اللهُ به عباده المؤمنين في كتابه ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾(٢) ويذكر أهل التفسير أن ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ جملة حالية، بمعنى " والذين معه في حال شدتهم على الكفار وتراحمهم بينهم. ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ إخبار عن كثرة صلاتهم. ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ أي يطلبون الجنة ورضا الله تعالى"(٣).. هذا حالُ النموذجِ المثالي (الصحابةُ رضوانُ الله عليهم) أولئك الذين أمرنا أن نكون مثلهم ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾(٤).

هذا المنتج (الصحابة والتابعين لهم بإحسان) تم بناؤه بما تكرر في كتاب الله من بيان لأسماء الله وصفاته، والدعوة إلى إفراده بالعبادة، وحال من كذب الرسل وحال من آمن واتبع. ودار النعيم وما فيها، ودار العذاب وما فيها.

---

(١) ينظر: "التكرار المعنوي في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية دلالية" ليحى محمد علي المهدي، رسالة دكتوراة، جامعة أم درمان الإسلامية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥. ص٢٩٧.

(٢) سورة الفتح (٤٨): الآية ٢٩.

(٣) ينظر: "الجامع لأحكام القرآن" للإمام محمد بن أحمد القرطبي، مرجع سابق، ج١٦، ص٢٩٣.

(٤) سورة البقرة (٢) : الآية ١٣٧ .

ونلاحظ أن هذا البناء (التغيير) يحدث بمجرد المرور على كتاب الله، ولا يحتاج الأمر أكثر من التلاوة التي يعقلُ فيها صاحبُها ما يقرأُ، ويتفاعل مع ما يقرأ من تسبيح واستغفار ودعاء، لا القراءة السريعة التي لا تدبر فيها[١]. بمعنى أنه يكفي فهمُ ما يتبادرُ للذهنِ من النصِّ، وهو التفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته[٢]، يكفي ما يحملُه النصُ على جبينه وراحتيه ويراهُ كلُّ عابرٍ عليه، لا داعي أبدًا أن نستحثَ العامة للبحث عما يخفيه النصُ لخاصة القراء من تقييد للمطلق وتخصيص للعام ونحو ذلك، فالتزكية على التلاوة كما مرّ في مقدمة هذا المبحث.

ولأن القرآن الكريم يحدث هذا الأثر الضخم لذا فإن من أساليب أهل الضلال أنهم يعمدون إلى إيجاد حالة موازية، للتشويش على القرآن الكريم حتى لا ينشغل الناس بقراءته وتدبره ومدارسته؛ ولذا، أيضًا، ظنوا أن اللغو في القرآن من مظان الغلبة على المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾[٣]، "وتواصوا فيما بينهم بألا يستمعوا لهذا القرآن لأنه يغلب القلوب، ويسلب العقول، وكل من استمع إليه صبا إليه".[٤]

---

(١) في تفسير قول الله تعالى﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ سورة المزمل (٧٣): ٤، وذكروا آثارًا تفيد الحث على الترتيل بصوت تسمعه الآذان، والتفاعل مع المعاني التي يمر عليها القارئ كالتسبيح، والاستغفار، والدعاء. ينظر: "معالم التنزيل في تفسير القرآن" للإمام الحسين بن مسعود البغوي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠ه).ج٥، ص١٦٦. وينظر: "شرح صحيح البخاري لابن بطال" لعلي بن خلف بن عبد الملك، (الرياض، مكتبة الرشدن ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م)، ج١٠، ص٢٧٣.

(٢) ورد عن ابن عباس، رضي الله عنه، أنه قال: " التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله "ينظر: ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير ينظر: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" للإمام محمد بن جرير الطبري"، مرجع سابق "، مرجع سابق، ج١، ص٧٠.

(٣) سورة فصلت (٤١): الآية ٢٦.

(٤) ينظر: "لطائف الإشارات" للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكاب، د.ت)، ج٣، ص٣٢٦.

ومثله قول الله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۝٦٢﴾[١] والمقصود هنا ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ والمعنى يدور على حالة من الغلظة والعناد والكبر وعدم الخشوع وامتلاء النفس بضد القرآن الكريم[٢]. فمن هذا حاله ممتلئ بالضد ومستعلي بالباطل، وعنيد لا يريد أن يسمع أو لا يستطيع أن يسمع.

ولذا فإن الذين لا يؤمنون بالآخرة هم الذين يذهبون إلى زخرف القول ويتركون القرآن.. يرجون الخير من غير مظانه، وربما كثرة هذه البضاعة (زخرف القول) في هذه الأيام هو السبب في امتلاء القلوب بما لا يجعل القرآن الكريم يحدث أثره في النفوس. يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝١١٢ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۝١١٣﴾[٣]، وزُخْرُف القول هو القول "المموَّه المزين الظاهر ينخدع ويغتر بظاهره مَن لا يتدبر"[٤]، وتصغى بمعنى تميل إليه منغمسة فيه[٥].

ولذا، أيضًا، فإن القرآن الكريم يستفيد منه من كان له قلب ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾[٦]، أي لا يحدِّث نفسه بغير القرآن الكريم .

---

(١) سورة النجم (٥٣): الآيات ٥٩ – ٦٢.

(٢) ينظر: "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم"، (القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٠م)، ج٢، ص١٠٧٢.

(٣) سورة الأنعام (٦): الآيات ١١٢ – ١١٣.

(٤) ينظر: "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم" لمحمد حسن جبل، مرجع سابق، ج٢، ص٨٨٥.

(٥) ينظر: "المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم" لمحمد حسن جبل، مرجع سابق، ج٣، ص١٢٢٨.

(٦) سورة ق (٥٠): الآية ٣٧.

ثانيًا: التدرج والنمو:

يعد التدرج من ثوابت الشريعة، ويظهر ذلك في أمور شتى، منها: التدرج في التشريع (تحريمًا وفرضًا)، وهذا مما اشتهر من مسائل العلم، كما في تحريم الخمر وتحريم الربا، وفرض الصلاة والصيام، فلم تحرم الخمر مرة واحدة، ولم تحرم الربا مرة واحدة، ولم تفرض الصلاة بهيئتها الموجود الآن مرة واحدة، ومرَّت فريضة الصيام بمراحل حتى استقرت على حالها الموجود الآن. ففي التشريع يتم مراعاة حال الناس وقرب عهدهم بالإيمان، وهذا بيّن من حديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها، في الصحيح: " إنَّما نَزَلَ أوَّلَ ما نَزَلَ منه سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ والنَّارِ، حتَّى إذَا ثَابَ النَّاسُ إلى الإسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ والحَرَامُ، ولو نَزَلَ أوَّلَ شَيءٍ: لا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقالوا: لا نَدَعُ الخَمْرَ أبَدًا، ولو نَزَلَ: لا تَزْنُوا، لَقالوا: لا نَدَعُ الزِّنَا أبَدًا، لقَدْ نَزَلَ بمَكَّةَ علَى مُحَمَّدٍ ﷺ وإنِّي لَجَارِيَةٌ ألْعَبُ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾﴾[1]، وما نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ والنِّسَاءِ إلَّا وأَنَا عِنْدَهُ"[2]. قال النووي رحمه الله: "وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج، فمتى يُسِّرَ على الداخل في الطاعة أو المُرِيد للدخول فيها، سَهلتْ عليه، وكانت عاقبته غالبًا التزايُد منها، ومتى عسرت عليه أوشَك ألاَّ يدخل فيها، وإنْ دخَل أوشَكَ ألاَّ يدوم أو لا يستَحلِيها [3].

ومنها التدرج في بناء الفرد المؤمن والمجتمع المؤمن، يقول الله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[4]، "شبههم بالزرع الذي يستمر في نمائه حتّى يستوي على سوقه، يعجب الزراع فيغيظ الكافر الحاسر، فوجه الشبه مركب من التدرج

---

(١) سورة القمر (٥٤): آية ٤٦.

(٢) ينظر: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه" للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، ج٤، ص١٩١٠.

(٣) ينظر: "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، للإمام يحى بن شرف النووي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ج١٢، ص٤١.

(٤) سورة الفتح (٤٨): من الآية ٢٩.

في النمو، والتحول من القلة إلى الكثرة إلى الاستحكام والقوة"[١]

ويتضح ذات المعنى (التدرج، أو النمو) من المثال المضروب في سورة الرعد، يقول الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾[٢] "شبَّه القلوبَ الحاملةَ للعلم والإيمانِ بالأوديةِ الحاملةِ للسيلِ، فقلبٌ كبير يسعُ علمًا عظيمًا، كوادٍ كبيرٍ يسع ماءً كثيرًا، وقلبٌ صغيرٍ يسعُ علمًا قليلاً، كوادٍ صغيرٍ يسعُ ماءً قليلاً. فحملتِ القلوبِ من هذا العلم بقدرِهَا، كما سالتِ الأوديةُ من الماءِ بقدرِهَا"[٣]، وكما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتمل غثاءً وزبدًا، فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات ليقلعها ويُذهبها، بمعنى أن الهداية لا تحدث بمجرد التعرض للوحي وإنما تحدث معركة داخل الإنسان بين ما أنزل الله وما في القلوب من شهوات وشبهات، ثم يزداد الإيمان (ينمو) في القلب وتذهب الشهوات والشبهات، تمامًا كما تفعل النار في خبث الحديد ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ﴾

فآيات الذكر الحكيم تحيي القلوب، كما تحيا الأرض بالماء، وتنقيها من الخبث كما تفعل النار بالمعادن.

والمقصود هنا هو الإشارة إلى أن ذلك لا يحدث بمجرد التعرض للوحي وإنما يأخذ وقتًا، فلابد من تكرار، ولعل هذا هو السبب في عطف الاستقامة على الإقرار بـ"ثم" التي تفيد التراخي في قوله تعالى:

---

(١) ينظر: "الجدول في إعراب القرآن"، لمحمود عبد الرحمن صافي، (بيروت، مؤسسة الإيمان، ١٤١٨هـ)، ج٢٦، ص٢٧٢.

(٢) سورة الرعد (١٣): الآية ١٧.

(٣) ينظر: "روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)"، للإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، (السعودية، دار العاصمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج١، ص٥٨١.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ ﴾[1] ، فالاستقامة جاءت بعد مدة من الإقرار بربوبية الله، حدث تدرج.. نمو. حدث النمو بعد التكرار مرارًا. بعد المرور على القيم والمفاهيم مرات عديدة في أزمنة ممتدة.

نعم يكفي القرآن الكريم، أو الوحي كتابًا وسنة، لبناء الإنسان الصالح المصلح. وقد عالجت هذه المسألة من زاوية أخرى تُعنى بثمرة البناء، أو بالإنسان المؤمن حين يتحرك في الحياة وكيف أنه يعمرها من خلال عبادته وأخلاقه التي بني عليها من المناهج الرباني في القرآن الكريم[2].

(١) سورة فصلت (٤١): الآية ٣٠.

(٢) ينظر: "عمارة الأرض في القرآن الكريم بين منهجين" لإيناس جلال القصاص، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد السابع، الإصدار الأول، الجزء الأول ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م، ص١٣٥-١٩٦.

الخاتمــة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، ومن أحبه واتبع هديه،وبعد:

حاولت من خلال هذه البحث بيان أهمية التكرار والتدرج في بناء الإنسان، سواءً التكرار الذي يمارس من أدوات المناهج الحديثة، التي لا تهتدي بهدي القرآن الكريم، في وسائل التواصل الاجتماعي وفي الإعلام وعلى الجدران (الإعلانات)، أو التكرار في القرآن الكريم من خلال تكرار الآيات الكونية والآيات المقروءة التي تعرف الناس بخالقهم، سبحانه وتعالى وعز وجل، وتدلل على أن الحياة ستنتهي إلى آخرةٍ بها نعيم مقيم وعذاب أليم. فكل يبنى بمن يصغي إليه.. كلٌ يبنى بما يكرر عليه.

ومن أهم النتائج المستخلصة:

١. التكرار مكون أساسي من مكونات القرآن الكريم، وليس أحد الظواهر البلاغية فيه. فالقرآن "مثاني"، صرّف الله فيه الآيات.

٢. التكرار من أهم الأدوات المعرفية في بناء الإنسان. فمن خلال تكرار الوعد والوعيد، وتكرار الشعائر، وتكرار النوافل من صلاة وصيام وأذكار، تم بناء إنسان جديد يمتثل لأمر الله ونهية ويبقى رضوان الله في عمله كله، حاله كحال الصحابة رضوان الله عليهم: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ﴾(١).

٣. من أهم أسباب ضعف الشخصية المعاصرة البعد عن القرآن الكريم تلاوة وتدبرًا. بل امتلاء القلوب بزخرف القول مما توحيه شياطين الإنس والجن لمن أصغى إليهم فتأثر بقولهم.

٤. الإنسان يبنى (يصنع)، بمنظومة من القيم والمفاهيم، فإما أن تكون مرجعيته القرآن الكريم الذي يهدي للتي هي أقوم وإما ظلمات الكفر والفسوق والعصيان.

٥. إننا في واقع متغير باستمرار، وإذا لم يشارك القرآن في صناعة الواقع فإن المناهج البديلة ستشارك حتمًا في بناء الإنسان وهو ما يحدث الآن.

---

(١) سورة الفتح (٤٨): من الآية٢٩.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانيًا: مراجع كتب التفسير وعلوم القرآن:

١- إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٢- إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).

٣- أحمد بن إبراهيم الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (السعودية، دار التفسير، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

٤- أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، إعراب القرآن، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ).

٥- حسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، المفردات في غريب القرآن، (بيروت، دار القلم، ١٤١٢هـ).

٦- حسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (القاهرة، دار طيبة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٧- حسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٨- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

٩- عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت، دار الفكر، ١٤٣١هـ).

١٠- عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، روائع التفسير[الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي]، (السعودية، دار العاصمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

١١- عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).

١٢- عبد الله بن مسلم بن قتيبة، غريب القرآن، (بيروت، دار الكتب العملية ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م).

١٣- عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكاب، د.ت).

١٤- علي بن محمد البغدادي (الخازن)، لباب التأويل في معاني التنزيل، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

١٥- علي بن محمد الماوردي، النكت والعيون، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت).

١٦- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

١٧- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (القاهرة، دار هجر، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م).

١٨- محمد بن الحسن بن عبد الله الآجُريُّ، أخلاق أهل القرآن، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

١٩- محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٤٣١هـ/ ١٩٨٤م).

٢٠- محمد حسن حسن جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة، مكتبة الآداب، ٢٠١٠م).

٢١- محمد بن عمر بن الحسن الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

٢٢- محمد بن محمد ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٨م).

٢٣- محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم: المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، (القاهرة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، د.ت).

٢٤- محمود عبد الرحمن صافي، الجدول في إعراب القرآن، (بيروت، مؤسسة الإيمان، ١٤١٨هـ).

٢٥- محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ).

٢٦- يحي بن زياد الفراء، معاني القرآن للفراء، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت).

ثالثًا: مراجع كتب السنة:

٢٧- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩).

٢٨- علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري لابن بطال، (الرياض، مكتبة الرشدن ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م).

٢٩- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، (بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧).

٣٠- يحى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

رابعًا: مراجع كتب اللغة:

٣١- أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي، مجمل اللغة، (بيروت، مؤسسة الرسالة،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م).

٣٢- محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تهذيب اللغة، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م).

٣٣- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، د.ت).

٣٤- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، (بيروت، دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧).

٣٥- يحى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ).

خامسًا: المراجع الأجنبية:

٣٦- تشارلز دويج، قوة العادات: لماذا نعمل ما نعمل في الحياة الشخصية والعملية؟،(السعودية، مكتبة جرير، ٢٠١٣).

٣٧- زيجمونت باومان، ترجمة حجاج أبو جبر، الحداثة السائلة، (بيروت، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٦م).

٣٨- زيجمونت باومان، ترجمة: حجاج أبو جبر ودينا رمضان، الحداثة الهولوكوست، (القاهرة، مدارات للأبحاث والنشر، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م).

٣٩- جورجيو أجامبين، ترجمة: ناصر إسماعيل، حالة الاستثناء، (القاهرة، مدارات للبحث والنشر، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥).

٤٠- عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، مقدمة ابن خلدون، (دمشق، دار يعرب، ٢٠٠٤، ١٤٢٥).

٤١- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).

٤٢- علي الوردي، مهزلة العقل البشري، (لندن/ بيروت، دار كوفان للنشر بلندن، توزيع دار الكنوز الأدبية بيروت، ١٩٩٤م).

٤٣- محمد محمد امزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، (الرياض، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

٤٤- ميشيل فوكو(١٩٢٦م-١٩٨٤م)، المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن، ترجمة علي مقلد، (بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٩٠م).

سادسًا: مجلات علمية:

٤٥- إيناس جلال القصاص، الوحي في خطاب المتأثرين بأفكار المستشرقين والمبشرين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات كفر الشيخ، عدد ديسمبر ٢٠٢٢.

٤٦- إيناس جلال القصاص، عمارة الأرض في القرآن الكريم بين منهجين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد السابع، الإصدار الأول، الجزء الأول ١٤٤٤هـ-٢٠٢٢م.

٤٧- إيناس جلال القصـــاص، مجتمع مكة والمدينة في القرآن الكريم، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي الثالث لكلية أصـول الدين والدعوة الإسـلامية بالمنوفية، والمنعقد بتاريخ١٣-١٤ شـعبان ١٤٤٤ه، الموافق ٥-٦ مـارس٢٠٢٣م، بعنوان: "النتـاج العلمي التراثي والمعـاصـــر في مرايـا الباحثين".

رسائل علمية:

٤٨- يحى محمد علي المهدي، رسـالة دكتوراة، جامعة أم درمان الإسـلامية، التكرار المعنوي في القرآن الكريم: دراسة أسلوبية دلالية١٤٢٦ه- ٢٠٠٥.

مواقع إلكترونية:

٤٩- إيمان حامد، "خصـائص المدرسـة السـلوكية"، موقع سـطور ، أخذ بتاريخ: خصـائص المدرسـة السلوكية - سطور (sotor.com)

٥٠- أبراهام هارولد ماســلو ١٩٠٨م-١٩٧٠م، هرم ماســلو للحاجات، موقع ســطور، أخذ بتاريخ ١٧/ ٣/ ٢٠٢٣: https://2u.pw/2rRQeG.

٥١- علي الوردي، ندوة مكتبة الروضــة الأدهمية، أخذ بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠٢٣، من الرابط: (٧٨) من مكتبة الروضة الأدهمية - ندوة الخميس ورديات٦مايس١٩٩٣ - YouTube

٥٢- "نظريات التعلم: النظرية البنائية"، موقع "تعليم جديد"، أخذ بتاريخ ٢٠٢٣/٣/٢٧:

https://www.new-educ.com/theories-dapprentissage-le-constructivisme.

والحمد لله رب العالمين

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص..... ٩٥

المقدمـــة..... ٩٧

المبحث الأول: بناء الإنسان بين منهجين..... ١٠٢

أولاً: المرجعي..... ١٠٢

ثانيًا: ثنائية النظر للإنسان: ١٠٩

ثالثًا: علاقة الإنسان بالأشياء من حوله. ١١١

المبحث الثاني: التكرار والنمو كأحد أساليب القرآن الكريم في بناء الفرد الصالح والمجتمع الصالح..... ١١٨

أولاً: التكرار ١١٩

ثانيًا: التدرج والنمو..... ١٣٢

الخاتمـــة..... ١٣٥

ثبت المصادر والمراجع ١٣٦

فهرس موضوعات البحث..... ١٤١